Journal of Arabian Peninsula Centre
for Educational and Humanity Researches
Volume (1), Issue (2): 30/ Jul /2019
p: 81- 94
Copyright License

ISSN: 2707-742X

مجلة مركـــز جـــــزيرة العـــــــرب
للبحوث التـــربـــوية والإنسانية
المجلد (1)، العدد (2): 30/ يوليو/ 2019م
ص: 81- 94
تاريخ الاستلام: 2019/06/26 القبول: 2019/07/24

دلائل البيان لمعاني مفردات القرآن؛ "ظُلُمَات"، "عزيزٌ"، "مسّ"، "نُلْزم" أنموذجًا

الباحث/ محمد علي ناجي المساوى
باحث وطالب دكتوراه بجامعة صنعاء|| كلية اللغات|| مدرس لغة عربية || محافظة الحديدة||اليمن
E: alngg2013@hotmail.com || phone: 0967775878042

المستخلص: هدفت الدراسة إلى تحليل أربع مفردات قرآنية، وهي: "ظلمات" و "مسّ"، و"عزيز"، و"نلزم"، ومناقشة تميزها في بيان مقاصد الآيات والسور، والبحث في قوة بيانها، ودقة مناسبتها، ومدى تصويرها للمعاني، وتجسيد أحوالها، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث يقوم البحث بدراسة كل مفردة ثم تتبعها وحصرها في القرآن الكريم، وتحليل مكوناتها واستكشاف مضامينها البلاغية، مستفيدًا من لطائف الباحثين، والعلماء في ذلك. كما يفيد من المعطيات الجمالية والتركيبية اللغوية، واستكشاف حقائقها ودقائقها، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى التأكيد على أنَّ القرآن الكريم وظَّف معاني المفردة لتحقيق مقاصده البيانية، وإيصال المعنى للمتلقي، كما أكدت النتائج إمكاناتُ المفردة القرآنية في دقة اختيارها، وتعميقها للدلالة، وتجسيدها للمعاني، وكذلك ظهر في أحوال النظم علاقةَ المفردة ببقية العناصر اللغوية في الصيغ المركبة، وقوة ارتباطها بها.

الكلمات المفتاحية: دلائل البيان. معاني مفردات القرآن. ظلمات. عزيز. مسّ. نلزم. أنموذجًا

Evidence of rhetoric on the meanings of the vocabulary of the Holy Qur'an

Mr. Muhammad Ali Naji Al-Mosawa
Researcher and PhD student at Sana'a University || Faculty of Languages ||
Arabic language teacher || Al Hudaydah Governorate||Yemen
E: alngg2013@hotmail.com || phone: 0967775878042

Abstract: The study aimed to analyze four Quranic verses, namely:" Darkness," " Touch," "Aziz," and " We commit," and discuss its distinction in the statement of the purposes of the verses and the Surat, and the search for the strength of its statement, the accuracy of its suitability, Analytical descriptive, where the research study each item and then track and inventory in the Holy Quran, and analyze the components and explore the contents of rhetoric, taking advantage of the ranks of researchers, and scientists in it. As well as benefit from the aesthetic and linguistic data, and explore the facts and minutes, The results of the study have confirmed that the Holy Quran used the meanings of the individual to achieve its objectives and to convey the meaning to the recipient. The results also confirmed the potential of the Qur'anic singularity in the accuracy of its selection, its depth of significance, and its embodiment of meaning. , And the strength of their association with them.

Keywords: Statement Directories. Meanings of the Quran. Darkness. Aziz. Touch. We commit.as a Model

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أنَ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا (ﷺ) عبده ورسوله، وبعد:

إن القرآن الكريم هو الهادي إلى أقوم سبيل، وأوضح طريق، وما دونه هلاك وبوار، وتخبط وضياع، القرآن هو العز والذكر والشرف، أعز الله حامله فجعله أنموذج الكمال البشري وقمة السمو الإنساني، وروعة الارتقاء الفكري والروحي.

وبلاغة القرآن الكريم، لا يبلغ مداها بلاغة أي أسلوب آخر، ولقد كانت أساليبه مادة للبحث والدراسة لكثير من الباحثين، والعلماء، ومع كثرتها تبقى فضاءاته متسعة لمزيد من الدراسة والبحث، ومِنْ ثمَّ جعلت موضوع بحثي في القرآن الكريم والذي عنونته بـ(دلائل البيان لمعاني مفردات القرآن)، وخصصته في تحليل ودراسة اربع مفردات، وهي "مس، وعزيز، ونلزم، وظلمات"، ومن المسلّم به أن المفردة الأدبية متميز، فهي في الأدب تلبس لبوسا فريدا مع شحنة روحية، مما يجعلها تتجاوز كونها أصوات مادة معجمية، وهي ترسم وتشخّص وتجسّم حالة شعورية، فتتسع دلالتها الإشارية الضيقة، وتحمل دلالة أخرى في حالة الاتساع "[1]، وقبل أن ندخل في البحث نوضح الآتي:

مشكلة البحث:

يعالج هذا البحث أهمية المفردة القرآنية ودقة اختيارها، وتعميقها للدلالة، وذلك لأن المفردة تختصر الكثير من الكلام، وتنم عن رفعة البيان القرآني وتلقي ظِلالا نفسية خاصة، لأنها تقوم بتجسيم المعاني وتحيلها إلى مشاهدات بعد أن تكونَ دفينةً مكنونةً.

ويمكن تحديد مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

1- ما أهمية المفردات القرآنية المذكورة، مع مناقشة تميزها في بيان مقاصد الآيات والسور.
2- ما سبب قوة بيانها، ودقة مناسبتها.
3- ما مدى تمكن المفردة من موقعها وتصويرها للمعاني، وتجسيد أحوالها.

أهداف البحث:

ويهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

1- تحليل المفردات القرآنية المذكورة، ومناقشة تميزها في بيان مقاصد الآيات والسور.
2- 2- البحث في قوة بيانها، ودقة مناسبتها.
3- ما مدى تصويرها للمعاني، وتجسيد أحوالها.

حدود البحث:

يخصص البحث موضوعه في أربع مفردات قرآنية، وهي: "مس"، و"عزيز"، و"نلزم"، و"ظلمات"، إذ يقوم بتحليلها واستكشاف مضامينها البلاغية، وقوة بيانها وتأثيرها، مستفيداً من لطائف العلماء والباحثين في ذلك.

---

(1) ياسوف، أحمد (1992) جماليات المفردة القرآنية" في كتب الإعجاز والتفسير"، دار المكتبي، ط2، ص25.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من أهمية الموضوع ذاته، ومن الأهمية البالغة في دراسة بلاغة القرآن الكريم، وفعاليتها في توصيل المعنى، وتحقيق التماسك لعناصر الآية، وجمال الشكل والمضمون، وجمعها بين قوة التأثير، وعذوبته. وبذلك يتوقع أن تفيد نتائج البحث في التعريف بالجوانب البلاغية للقرآن الكريم وفتح آفاق واسعة لمزيد من الأبحاث لدلالات مفردات وآيات القرآن الكريم، والذي لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

منهجية البحث.

إن المنهج الذي سيأخذ به هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، إذ يقوم بتحليل وتوصيف عناصر النظام اللغوي، وتحديد مهام المفردة فيه، ثم ربطها بما تؤول إليه من دلالات ومعاني بيانية، وسوف يقوم بالآتي:

1- تحديد معاني المفردة في معاجم اللغة.
2- تحديد دلالات المفردة في كل موضع وردت فيه.
3- مناقشة لطائف البيان للمفردة، وقوة بيانها لمقاصد سياقها التي وردت فيه.

خطة البحث:

فرضت طبيعة البحث وأهدافه؛ تقسيمه إلى الآتي:

- المقدمة: وتضمنت ما سبق.
- تحديد البحث.
- منهج البحث.
- موضوعات البحث.
- خاتمة البحث، ومصادره ومراجعه.

التمهيد.

إن المفردة القرآنية تمتاز بحسن التأليف وروعة اللفظ، فتزيد المعنى بهاءً ورونقاً، كما أن من صفاتها الشمول والثبات، فهي كماء الحياة، وهي الموازين التي توزن بها قوانين الوجود كله.

وإذا كانت "الكلمة قد جاءت في القرآن مرة واحدة، فالحياة كلها، على امتدادها، والوجود كله على امتداده، لا يمكن أن يكون بحاجة إلى كلمة أخرى، ما دامت الكلمة القرآنية قد "أحكمت" فجاءت موفية بالحاجة بحيث لا يحتاج لغير هذه الكلمة القرآنية الواحدة في سياقها أبداً.. أما إذا كانت هناك حاجتان اثنتان لا ثالث لهما، فلا بد أن لهاتين الحاجتين، كلمتين منفصلتين، وإن كانت صيغتهما القولية واحدة"[(2)]، ولذلك "فالكلمة القرآنية مهما تعددت مواقعها فقد أتت مرة واحدة، والحاجات هي التي تكررت، بدليل أن القرآن، ليس به أي إضافة عددية لكلمة من كلماته، دون حاجة حقيقية يأتي ذكرها مفصلا ومحكماً لا مكان معه لتكرارنا لكلامنا العادي"[(3)].

هذه المفردة القرآنية لها أهمية في دراسة بلاغة القرآن الكريم، وفعاليتها في توصيل المعنى، وتحقيق التماسك لعناصر الآية، وجمال الشكل والمضمون، وجمعها بين قوة التأثير، وعذوبته، وذلك لأن صيغة المفردة تختصر الكثير من

(2) محمد العفيفي (1986)، القرآن تفسير الكون والحياة، منشورات ذات السلاسل، الكويت،ط1، ص110،196.

(3) محمد العفيفي، القرآن تفسير الكون والحياة ص246.

الكلام، وتنم عن رفعة البيان القرآني وتلقي ظِلالا نفسية خاصة، لأنها تقوم بتجسيم المعاني وتحيلها إلى مشاهدات بعد أن تكونَ دفينةً مكنونةً ومشاعر ومجردات عن طريق إسباغ الصفات الآدمية على الجمادات، فتكتسب المفردة جمالًا مرئيًا من حيث التصوير، وسمعياً من حيثُ متعة الأنغام، ونفسياً من حيثُ إمتاع الوجدان وموافقة المواقف"[4].

وتبرزُ إمكاناتُ المفردة اللغوية في دقة اختيارها، وتعميقها للدلالة، والمتأمل في اللفظة القرآنية يجد تمكن كل لفظ من موضعها، بحيث لو استبدلت بغيرها لاختل مفهوم السياق العام للنص الذي ورد فيه اللفظ"(5)، وكلمات القرآن ومفرداته متصلة ومتناسقة، لا حشو فيها ولا تكلف، يحيط بها السمو، ويظللها الجمال.

كما يظهرُ من التركيب علاقةَ المفردة ببقية عناصره، وتبرز طبيعة هذه العلاقة، كما تبرز دور المفردة في تجسيد المعاني المجردة، بما تثيره من أفكار، وتحث المتلقي في رسم ملامح تصويرية للمعاني، وكل هذه القيم المعنوية والتصويرية بفعّل دلالات التركيب وتفاعل عناصره المختلفة"[6]، ومن ثمَ لم توضع الألفاظ عبثًا بل وضعت وضعا دقيقًا"[7]؛ لتعبرَ عن مقاصد السياق ومراده.

إنَّ القرآن الكريم يستعمل بنية الكلمة استعمالا في غاية الدقة، فمن ذلك مثلا استعمال الفعل والاسم، فالفعل يدلَّ على الحدوث والتجدد"[8]، ولفظ "استجاب" أخص من لفظ "أجاب"؛ لأن استجاب يقال لمن قبل ما دعي إليه، وأجاب أعم، لأنه يقال لمن أجاب بالقبول وبالرد، قال الراغب الأصفهاني "الاستجابة هي التحري للجواب والتهيؤ له"[9].

إنَّ نظم القرآن مادة فوق الصنعة ومن وراء الفكر وكأنها صبت على الجملة- صبًا- إنك ترى بعض الألفاظ لم يأت إلا جمعًا ولم يستعمل منها صيغة المفرد، فإذا احتاج إلى هذه الصيغة استعمل مرادفها، كلفظ (اللب) فإنها لم ترد إلا مجموعة كقوله (تعالى): ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43) ﴾ (ص: 43)، وقوله (تعالى): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21) ﴾ (الزمر: 21)، وقوله (تعالى): ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (52) ﴾ (إبراهيم: 52)، ولم تجيء فيه مفردة، بل جاء مرادفها في حالة الإفراد وهو لفظ (القلب)"[10].

وسوف يخصص البحث دراسته لأربع مفردات لغوية، ويبرز ما يميزها في البلاغة والبيان، وهي "ظلمات، وعزيز، ونلزم، ومس"، وسوف نناقشها في الآتي:

أولاً- (الظُلُمَاتِ):

الظُّلْمةُ ضد النور، وهي بضم اللام لغة. وجمع الظلمة: (ظُلَمٌ وظُلُماتٌ وظُلَماتٌ وظُلْماتٌ) بضم اللام وفتحها وسكونها، وقد أظْلَمَ الليل، والظَّلاَمُ أول الليل والظَّلْماءُ الظلمة وربما وُصف بها يقال ليلة ظلماء أي مُظْلِمَةٌ و ظَلِمَ الليل بالكسر ظَلاَمًا بمعنى أظْلَم وأظلم القوم دخلوا في الظلام قال الله (تعالى): ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) ﴾ (يس: 37) "[11]، وقد

(4) ياسوف، جماليات المفردة القرآنية"، ص327.

(5) عبد التواب، محمد لطفي (د.ت)، الاتجاه البلاغي في تفسير البيضاوي، ص80.

((6 العبدلي، سعد، د. أمير فاضل (2011)، الترتيب والمتابعة، عالم الكتب الحديثة، أربد-الأردن،ط1، ص224.

(7) السامرائي، د. فاضل صالح (2010)،التعبير القرآني، دار عمار عمان،ط7، ص10.

(8)السامرائي، التعبير القرآني، ص21.

(9)الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (1412ه)،المفردات في غريب القرآن، دار العلم الدار الشامية، دمشق .بيروت، تح: صفوان عدنان داودى، ج1،ص210.

(10)حمدان، نذير (د.ت)، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنار جدة السعودية، ط1، ص198.

(11) الجواهري، إسماعيل بن حماد (1999) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3.، مادة (ظل).

جاءت كلمة (الظلمات) على قسمين: الأولى في قوله (تعالى): ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تعالى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(النمل: 63)، والمقصود بها ظلمة البحر والبر الحقيقي، والآخر في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(الحديد: 9)، ويعبرُ بها عن الجهل، والشرك، والفسق كما يعبر بالنور عن خلاف هذه المعاني.

ونلحظ أن هذا اللفظ ورد معرفًا بالإضافة في آية سورة النمل إلى لفظتي" البر والبحر"، كما ورد معرفًا بالألف واللام في آيتي سورة الحديد والأحزاب، وأن التعريف بالإضافة يعبر عن معانٍ واقعية، في مقابله تعبر هذه اللفظ المعرفة بالألف واللام عن معانٍ مجازية؛ وهذا الملمح اللغوي يتسق مع مواضع ذكر هذا اللفظ في القرآن الكريم"[12].

وقد ذكرت كلمة "الظلمات" معرفة بـ(الألف واللام) في القرآن الكريم أربع عشرة مرة في ثلاث عشرة آية، كما ذكرت كلمة "ظلمات" معرفة بالإضافة وغير معرفة ثماني مرات في ثماني آيات، وذكرت معرفة بـ "ال" في الآيات الآتية: في قول الله(تعالى): ﴿اللهُ وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظُّلمات إلى النور.... من النور إلى الظلمات﴾(البقرة: 257)، وقوله: ﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه﴾(المائدة: 16)، وقوله(تعالى): ﴿وجعل الظلمات والنور ثُمَّ الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾(الأنعام: 1)، وقوله(تعالى): ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُماتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾(الأنعام: 39)، وقوله: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾(الأنعام: 122)، وقوله(تعالى): ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾(الرعد: ١٦)، وقوله(تعالى): ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(الأنبياء٨٧)، وقوله(تعالى): ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴾ (فاطر: 20)، وقوله: ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾(إبراهيم: 1)، وكذلك قوله (تعالى): ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾(إبراهيم: 5)، وقوله (تعالى): ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾(الأحزاب: 43)، وقوله(تعالى): ﴿هو الذي نزّل على عبده آيات بيناتٍ ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾(الحديد: 9)، وقوله: ﴿ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾ (الطلاق: 11).

وقد ذكر لفظ(ظلمات) ثماني مرات في ثماني آيات في المواضع الآتية: قال(تعالى): ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: 17)، وقوله (تعالى) :﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾(البقرة: 19)، وقوله (تعالى): ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾(الأنعام: 59)، وقوله (تعالى): ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾(الأنعام: 63)، وقوله (تعالى): ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(الأنعام: 97)، وقوله (تعالى): ﴿أَو كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾(النور: 40)، وقوله (تعالى): ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تعالى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(النمل: 63)، وقوله (تعالى): ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (الزمر: 6)، ومن هذه الآيات نلحظ أن هذا اللفظ في مواضع ذكرها جميعا ورد بصيغة الجمع للفظ "الظلمات" وأفرد لفظ النور، وذلك لأن النور واحد، وله جهة واحدة، ومصدر واحد، وهو المصدر الإلهي، لقوله (تعالى): ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

(12) العبدلي، أمير فاضل سعد (د.ت)، التأويل البياني لأحوال نظم المعاني في القرآن الكريم، (كتاب مطبوع وهو قيد النشر).

الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(النور: 35)، أما الظلمات فقد ورد بصيغة الجمع؛ لأنَّ مصادرها كثيرة حقيقية، كالليل وتكاثف السحب والخسوف والكسوف ومعنوية كالشيطان، والنفس وأصدقاء السوء..."[13]، كما نلحظ أن مواضع ورود لفظ "ظلمات" نكرةً، تدل في الغالب على الظلمات الحقيقية، بينما المعرفة بالألف واللام – في الكثير منها-يفيد دلالة مجازية لهذه اللفظ.

أما الظلمات فقد تعددت أسبابها ومصادرها، كالشيطان، والأصنام والأوثان، والأهواء، ورفاق السوء؛ ولهذا تعددت الظلمات تبعًا لتعدد مصادرها"[14].

ومن بديع القرآن وحكمة استعماله للكلمات أنه جمع الظُّلُمات وأفرد النُّور؛ إبرازًا للتناقض بينهما، حتَّى من حيث اللفظ، فالتناقض بين النور والظلمة له عدة أوجه، منها:

- تناقض المصدر والمبدأ، فالنور مصدره إلهيٌّ، والظلمات مصادرها الشيطان والهوى والطاغوت
- تناقض المعنى، فالنور يعني الإشراق، والهداية والإيمان، وكلُّها من عطاء الله، بينما الظلمات تعني الكفر والمعصية والجهل والعذاب، وكلُّها شرور تجرُّ إليها الشيطان والغواية والأهواء والضلال،
- تناقض لفظيّ؛ حيث جاء النور بصيغة المفرد، بينما جاءت الظلمات بصيغة الجمع.

ثانياً- العزيز:

العِزُّ: خلاف الذُلّ. ومطر عِزٌّ، أي شديد. وعَزَّ الشيء يَعِزُّ عِزًّا وعِزَّةً وعَزازَةً، إذا قلَّ لا يكاد يوجد، فهو عزيزٌ"(15)، العِزُّ ضد الذل تقول منه عَزَّ يعز عِزًّا بكسر العين فيهما وعَزازةً بالفتح فهو عَزِيزٌ أي قوي بعد ذلة، وأعَزَّهُ الله وعَزَّ الشيء فهو عَزيزٌ إذا قل فلا يكاد يوجد وعَزَزْتُ عليه بالفتح كرمت عليه وقوله (تعالى)﴿فَعَزَّزْنا بثالث﴾ يخفف ويشدد أي قوينا وشددنا و تَعَزَّزَ الرجل صار عزيزا".(16)، والعِزَّةُ: حالةٌ مانعة للإنسان من أن يغلب. من قولهم: أرضٌ عَزَازٌ. أي: صُلْبةٌ. قال (تعالى): ﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: 139)"(17).

والعزيز: من أسماء الله الحسنى، وهو القوي المنيع من العزة والمنعة التي هي ضد الذل والهوان، وهو غالٍ، نفيس القدر، كريمٌ مصون لقول الله(تعالى) عن القرآن﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) ﴾ [فصلت: 41]، وعزيز الجانب: أي ذو قوة ومكانة وأثر، وعزيز المنال: أي صعب البلوغ، وعزيز النَّفس: أي أبيّ، شريف كَرِيمَ النَّفْسِ.

والعزيز: ذو العزة والكبرياء، وتضمن اسمه "العزيز" كُلَّ صفات العزة وتمامها وكمالها، ويشتمل اسم العزيز المتضمن الصفات الكثير من المعاني نجدها في تدبر الآيات التي ورد فيها هذا الاسم وهو أفضل مصدر لمعرفة معنى هذا الاسم دونَ إقحام أو تقدير للمعاني، وهو الممتنع الذي لا يغلبه شيء، والعز في الأصل: القوة والشدة، والعزة: الرفعة والامتناع"[18]، ومعناه الغالب الذي لا يقهر"[19].

---

(13) داود، محمد محمد (2008)، **معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم**، دار غريب، القاهرة، ج1، ص507.

(14) المطعني، (د.ت)، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآن،ج 2،ص396، 397.

(15) الجوهري، إسماعيل بن حماد (د.ت)، الصحاح (تاج اللغة العربية)تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر،مادة (عز).

(16)الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1982)، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، مادة (عزز).

(17)الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص 563.

(18) ابن منظور (1998)، لسان العرب (1998)، تح: على سيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط، مادة (عزز).

(19) إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط .دار الدعوة، تح: مجمع اللغة العربية، مادة (عزز).

ويدلُّ على ثبوت صفة العزة له سبحانه قوله (تعالى): ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾(يونس: 65)، وصفة العزة تدل على ثلاثة معان، كلها ثابتة لله وهي: "عزة القوة: الدال عليها من أسمائه القوي المتين. وهي وصفه العظيم الَّذِي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإنَّ عظمت. وعزة الامتناع: لأنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. وعزة القهر: والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك، ولا يتصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به"[20].

واسم الله العزيز يدلُّ على كمال قوة الله(تعالى)، وامتناعه بنفسه سبحانه، وخضوع جميع المخلوقات لقهره، وتدبيره، يفعلُ فيها ما يشاء ويختار لا يعجزه شيء، ولا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه، فهو سبحانه يُدبِّر ولا يُدَبر، يُجري ما شاء على من شاء ولا يمتنع من أمره، ولا يتعقبه في حكمه أحد، فسبحانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم"[21].

وقد تكرر اسم الله العزيز في القرآن الكريم تسعًا وتسعين مرة متصلا بـ(ال) ومن دون (ال)، كما اقترن هذا الاسم بالرحمة في فواصل الآيات ثلاث عشرة مرة، ومع الحكيم سبعاً واربعين مرة، ومع العليم ست مرات، ومع الحميد ثلاث مرات"[22]، وسنأتي الى تفصيل ذلك.

(العزيز)كان الابتداء به بالآية الأولى مطلعًا لخمس سور قرآنية، وكانَ اسمُ العزيزِ يسبق ترتيبًا اسم الحكيم في كل الآيات، كمثل قوله (تعالى): ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) ﴾ (الزمر: 1) والسور هي: (الزمر، الحديد، الحشر، الصف، الجمعة)، كذلك أخذت الموقع الثاني في ثلاث سور أخرى كمثل قوله (تعالى): ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2)﴾ (الجاثية: 2)، (فاطر: 2)، (الأحقاف: 2).

والحكيم: اسم من أسماء الله الحسنى، يدلّ على اتصاف الله (تعالى) بالحكمة في شرعه وقدره، والحكم بين المخلوقات..."[23].

وقد ورد اسما العزيز مع الحكيم في سبعٍ وأربعين مرة، متصلًا بـ(ال) ومن دون (ال)، وكان اسم العزيز يسبق في ترتيبه اسم الحكيم في كل الآيات، ومن هذه الآيات قوله (تعالى): ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: 6)، وقوله (تعالى): ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(المائدة: 38).

والعزةُ تَتَطلبُ الحكمةَ: إنَّ تلازمَ اسم العزيز باسم الحكيم مَعَ حفظ الترتيب القرآني لأسبقية العزيز فذلك يدلّ المتدبر على أن الحكمةَ صفة أساس من متطلبات العزة ولا عزة بلا حكمة.

الْعَزِيزِ الرحيم: ورد اسما العزيز مع الرحيم في ثلاث عشرة آية قرآنية وكان اسمُ العزيز يسبق في ترتيبه اسم الرحيم في كل الآيات، وهي: في سورة الشعراء في تسعة مواضع، هي قوله (تعالى): ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)﴾ (الشعراء: ٩، 68، 104، 122، 140، 175، 149، 217، 19)، وقوله (تعالى): ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) (الروم: ٥)، وقوله (تعالى): ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6) ﴾ (السجدة: 6)، وقوله (تعالى): ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) ﴾ (يس: 5)، وقوله (تعالى): ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (42) ﴾ (الدخان: 42).إنَّ سورة الشعراء انتظمت أحداثها وأجزاؤها

(20) السعدي (د.ت)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،، ج1، ص946.

(21) ابن منظور (1998)، لسان العرب، مادة (عزز).

(22) عبدالباقي، محمد فؤاد (2001)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط: دار الحديث- القاهرة، مادة (عزز).

(23) الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن (د.ت)، الأمثال القرآنية القياسية، ج6، ص241.

كلها لتحقيق دلالة الرحمة والعزة لله (تعالى) في صياغة مكرورة تنتظم من أولها إلى آخرها، فبدأت في قوله (تعالى): ﴿طسم.... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9) ﴾ (الشعراء: 9)، ثم أخذت هاتان الآيتان الأخيرتان تتكرران وتوجهان أحداث السورة ومكوّناتها تجاه المقصد والفكرة العامة للسورة كلها، فبعد تفصيل قصة موسى مع فرعون، وخروجه بقومه ونجاتهم ورد في قوله (تعالى): ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68) ﴾ (الشعراء: 65- 68)، ثُمّ بعد قصة إبراهيم وقومه، يرد في قوله (تعالى): ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (140) ﴾ (الشعراء: 139- 140)، وبعد عرض قصة نوح وقومه وتفصيل مجريات الأحداث يرد في قوله (تعالى): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (122) ﴾ (الشعراء: 121- 122)، وبعدها قصة عاد مع قومه ثُمَّ ترد في قوله (تعالى): ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159) ﴾ (الشعراء: 158-159)، وبعد عرض قصة ثمود مع قومه ترد في قوله (تعالى): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175) ﴾ (الشعراء: ١٧٤- 175)، وبعد عرض قصة أصحاب الأيكة مع نبيهم يرد في قوله (تعالى): ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (188) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191) ﴾ (الشعراء: 188-191).

وبعد عرض قصة لوط ترد في قوله (تعالى): ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) ﴾ (الشعراء: 214- 217).

وأخيرًا تختمُ السورةُ بمخاطبة النبي وموقف قومه من دعوته، كما بدأت السورةُ، ثُمَّ يوجه بقوله (تعالى): ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ*وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ*فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ*وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (الشعراء: 214-217).

وهكذا فالسورةُ تنظرُ للأحداثِ وقصة الإنسان في تاريخه القديمِ مَعَ الرسلِ من زاويةِ الرحمة بإرسال هؤلاء الرسل، والعزة الغالبة في الانتقام من المستكبرين والمعرضين عن أمر الله"[24].

ومن الأسرار التي ذكرها صاحب الإتقان لاقتران العزة بالرحمةِ في الآيات القرآنية، أن العزة على من لم يؤمن والرحمة لمن آمن"[25].

ومن اللطائف لهذا الاقتران بيان أن الرحمة بالخلائق نابعة من العزة والقوة، فهو سبحانه و(تعالى) قادر على قهر من يعصيه بعزته وينصر من يطيعه برحمته.

إنَّ تكرار قوله (تعالى): ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، تسع مرّاتٍ في سورة الشعراء، أُولاَهَا جاءَتْ عَقِب بيان تكذيب الذين كذّبوا محمّدًا صلى الله عليه وسلم وبما جاء به عن ربّه، ثم جاءت كلُّ مرَّةٍ من المرّات الباقيات عقب عرض قصَّةٍ من قِصَصِ المكذّبين الأولين، فكان لكل مرّةٍ منها داعيتها من القصّة التي جاءت قبلها، فإذْ تعَدَّدَ المقتضي حَسُنَ إعادة ذكر العبارة نفسها"[26].

وبهذا الكم من الآيات نجدُ الدلالة على صفة أخر من متطلبات العزة وهو الرحمة المطلقة ولا يكون العزيز عزيزا لا اسما ولا صفة إن لم يكن رحيما، فسبحان العزيز الرحيم القائل " وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: 156).

---

(24)العبدلي، د. أمير فاضل سعد (2008)، غرائب الصورة القرآنية، دار الكتاب الثقافي (الأردن)، ص22.

(25) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت: 911هـ)،الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص113.

(26) حبنكة، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي (ت: 1425هـ)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ- 1996 م، ص523.

ثالثاً: أنلزمكموها.

لَزِمْتُ الشيء ألزَمُهُ لُزومًا، ولَزِمْتُ به ولازَمْتُهُ. واللِّزامُ: المُلازِم"[27]، المفردةُ القرآنيةُ ﴿أنلزمكموها﴾، فعلُها الماضي لَزم، ولزومُ الشيء طول، وقد تكررت هذه المفردة ومشتقاتها في القرآن الكريم في خمسة مواضع، الموضع الأول: لفظ(أَنُلْزِمُكُمُوهَا)، وذكرت في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة هود في قوله (تعالى): ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾(هود: 28)، والثاني: لفظ(أَلْزَمْنَاهُ)، وذكرت في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الإسراء في قوله (تعالى): ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾(الإسراء: 13)، والثالث: لفظ(لِزَامًا)، وذكرت في القرآن الكريم مرتين الأولى في سورة طه في قوله (تعالى): ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾(طه: 129)، والآخر في سورة الفرقان في قوله (تعالى): ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾(الفرقان: 77)، والموضع الرابع والأخير: لفظ(الز)، وذكرت في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الفتح في قوله (تعالى): ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح: 26).

إنَّ في قوله(تعالى): ﴿فَعُمِّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ تصور جو الإكراه ومعناها المباشر وتصويرها بجرسها وأدائها جوّ الإكراه هو الباعث على تخيرها على صيغة الفعل المضارع متصلًا بثلاثة ضمائر، وهذا وإن أدى إلى جهد في نطقها، فإنَّ هذا الجهدَ مطلوبٌ ليستشعرَ من ينطقُها مَدَى ما يبذل من جهد في الإلزامِ والإكراهِ الذي ينكره هود(عليه السلام)، هذه المفردة القرآنية ﴿أنلزمكموها﴾، الشيء بالشيء دائمًا يقالُ: لزمه الشيءَ يلزمه. واللزام: العذاب الملازم للكفار"[28]، والإلزام ضربانِ: إلزامُ التسخير من الله (تعالى)، وإلزام بالحكم والأمر.

في كلمة ﴿أنلزمكموها﴾ ثلاثة مضمرات: ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب وهو أحسن ترتيبًا: بدأ بالمتكلم لأنه أخص بالفعل ثُمَّ بالمخاطب ثُمَّ بالغائب ولو جيء بالغائب أولًا لانفصل الضمير وجوبًا"[29].

والاستفهام في قوله (تعالى): ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ للإنكار والنفي، والمعنى إذا كانت الهدية إلى الخير التي جئتكم به قد خفيت عليكم مع وضوحها وجلائها، فهل أستطيع أنا وأتباعي أن نجبركم إجبارًا، على التصديق بنبوتي وعلى الإيمان بي، والحالُ انَّكم كارهونَ لها، كلاَّ إننا نستطيعُ ذلك لأن الإيمان الصادقَ يكونُ عن اقتناعٍ واختيارٍ لا عن كره وإجبار"[30].

أثر دلالة جرس هذه المفردة على المعنى: فأنت تحس أثنا نطقَ كلمة ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ بهذه الصيغة ما يوحيْ بالإكراه بسبب إدماجِ كل هذه الضمائر في النطق وشد بعضها إلى بعض كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون، ويشدون إليه وهم نافرون وهكذا يبدو التناسق في التعبير أعلى من البلاغة الظاهرية، وأرفع من الفصاحة اللفظية"[31].

ونستطيع أن نتلمس جمالَ هذه المفردة بأنْ نقرر بأنَّ فيها سمة الاختزان، لأن صيغتها تعني وجود مفعولين من أجل موافقة نبرة الغضب التي تتطلب السرعة.

---

(27) الجوهري، (د.ت)، الصحاح (تاج اللغة العربية)، مادة (لزم).

(28) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (1972) معجم مقاييس اللغة، تح: عبدالسلام محمد هارون، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مادة (لز).

(29) ابن عادل الحنبلي، ابو حفص عمر بن علي (د.ت)، تفسير اللباب في علوم الكتاب، ص10.

(30) طنطاوي (د.ت)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج7، ص193-194.

(31) قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (د.ت)، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط17، ص92.

وكأنَّ غرابة استعمال هذه المفردة على هذا الشكل يمثل غرابة الموقف الإلهي فإنه – عز وجل- لا يجعل الإيمان فعلًا قسريًا كالتنفسِ والنوم، مما ينفي إرادة البشر ويحط من كرامتهم. فالإيمانُ لا يكون إلا محض اختيار"[32].

إنَّ نطقَ هذه المفردة على حالتها التي بنيت عليها فيه من الثقلِ ما يوحِيْ بالثقلِ وصعوبة التحمل والإكراه على حمل شيء ينفر منه المدعو ويستثقل حمله وتشمئز من نفسه.

ولو جئنا نفسِّرُ سر هذا الثقلَ في هذه الصيغة لوجدناهُ يأتي من نواحٍ عدة منها: إضمار المفعولين وإدماجهما معًا ما يجعل هنالك شَدًا وإدماجًا في عملية النطق، وكذلك ينشأ هذا الثقل من طريقة ترتيب حروفها واختلافِ مخارجها حتَّى كأنَّ اللسانَ يصيبه الإعياءُ، ويمسه اللغوبُ وهو ينتقل بين هذه المخارج؛ الأمر الذي يشعر بالثقل.

الاستفهام في﴿أنلزمكموها﴾، للإنكار التكذيبي: "ولكنَّك إذا عاودتها تجد أنها لم تفصح بمعنى أن ذلك لن يكون- كما تقولُ في تفسيرها- وإنما أثارت تساؤلًا، وأحالتنا إلى نفوسنا لتدبر الموقف كله، هل مما يتفق مع شرائع السماء التي جاءت لتكريم الإنسان، وإنهاض عقله، وطرح كل قيد يثقل حريته وإرادته أن تلزم الإنسان بفكر واعتقاد يكرهه، ولو كان هذا الفكر وهذا الاعتقاد هو الخير والصواب؟!. حرية الإنسان في قانون السماء أقدس من أن يضحى بها في سبيل غاية ولو كانت هذه الغاية هي بالقطع فلاح الدنيا والآخرة، السماء تقول: يجب أن يكون عقل الإنسان حرًا، وضمير الإنسان حرًا، ووجدان الإنسان حرًا، ولو كان ثمن ذلك كفره بالذي منحه هذا العقل، وهذا القلبُ، وهذه الحياةُ وهذا موقف مذهلٌ إذا أمعنت فيه"[33].

ثُمَّ يؤكدُ ذلكَ فيقولُ: "فقه طبيعة الشرائع وموقفها من إرادة الفرد، واحترامها لعقله الرافض لها يجعلنا نقرر أن ذلك لن يكون- أعني إلزامنا بالآيات البينات- وإن كانت رحمة من عنده- سبحانه- ما دامت عميت على ضمير الإنسان، وعقله.

رابعًا: مسَّ:

مَسَّ الشيء يَمَسُّهُ بالفتح مَسًا وهذه هي اللغة الفصيحة، وفيه لغة أخرى مِسْتُ الشيء يحذفون منه السين الأولى ويُحولون كسرتها إلى الميم ومنهم من لا يُحَوِّل ويترك الميم على حالها مفتوحة ونظيره قوله (تعالى): ﴿فظلْتُم تفكهون﴾تُكسر وتُفتح وأصله ظللتم وهو من شواذ التخفيف، وأمَسَّهُ الشيء فَمَسَّهُ و المَسِيسُ المَسُّ و المُمَاسَّةُ كناية عن المُباضعة وكذا التَّمَاسُّ قال الله تعالى ﴿ من قبل أن يَتَمَاسَّا ﴾وقوله تعالى ﴿لا مِسَاسَ ﴾أي لا أَمَسُّ ولا أُمَسُّ وبينهما رحم مَاسَّةٌ أي قرابة قريبة وحاجة مَاسَّةٌ أي مُهِمَّة وقد مَسَّتْ إليه الحاجة".[34]

والمس: هو جَسّ الشيء باليد، والممسوس: الذي به مس كأن الجن مسته، والممسوس من الماء ما نالته الأيدي"[35].

تكررت مادة(مسَّ) في القرآن الكريم في واحد وستين موضعاً، من ذلك قوله (تعالى): ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) ﴾ (الأنبياء: 83).

و(مسَّ) بأزيزها وصَوْتها المهموس، ونغمها الرقيق، نتيجة لتضعيف حرف الصفير، أو التقاء حرفيه متجاورين كقوله (تعالى): ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾(النور: 35).

---

(32) ياسوف، جماليات المفردة القرآنية"، ص185.

(33) أبو موسى، د. محمد (د.ت)، دلالات التراكيب، ص257، 258.

(34) الرازي، (1982)، مختار الصحاح،، مادة (مسس).

(35) معجم مقاييس اللغة، مادة (مسس).

هذه المادة في رقتها صوتيا، وشدتها دلاليا، تجمعُ بين جرس الصوت الهادئ، وبين وقع الألم الشديد، فالمَسُّ يطلق-عادة- ويراد به كل ما ينال الإنسان من أذًى ومكروه في سياق الآيات الأتية: قال (تعالى): ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾(آل عمران: 140)، وقال (تعالى): ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ﴾(الروم: 33)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾(الزمر: 49)، وقوله (تعالى): ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾(هود: 10) وقوله(تعالى) ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾(الأنبياء: 46)، (هود: 10)، وقوله (تعالى): ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(الأنفال: 68)، فهذه الصيغ المختلفة من المادة، وردت للدلالة على شدة البلاء، ورفع المصاب، وفرط الأذى، واللفظ فيها رفيق رقيق، ولكنَّ المعنى شديد غليظ، وللدلالة على هذا الملحظ، فقد وردت المادة في صوتها الرقيق مقترنة بالمس الرفيق لاستخلاص الأمرين في حالتي السراء والضراء، الشر والخير، كما في كل من قوله (تعالى): وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾(الأعراف: 95)، وقوله(تعالى): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) ﴾(المعارج: 21).

فالضراءُ تمسهم إذن، والسراء تمسهم كذلك، والشر يمسهم والخير كذلك، ولم يشأ القرآن العظيم تغييرَ المادة بل اللفظُ عينه في الحالتين، وذلك للتعبير عن شدة الملامسة والالتصاق، وكما ورد اللفظ في مقام الضر منفردا في أغلب الصيغ، ورد مثله جامعًا لمدركي الخير والشر، فقد ورد للمس الجميل خاصة في قوله (تعالى): ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾(آل عمران: 120)،

وفي الآية من المحسنات البديعية ما يسمى (بالمقابلة) وذلك في قوله تعالى: ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾(آل عمران: ١٢٠)، حيث قابل الحسنة بالسيئة والمساءة بالفرح وهي مقابلة بديعة.

لطيفة: عبر بالمس في قوله ﴿ إن تمسسكم حسنة﴾ وبالإصابة في قوله: ﴿ وإن تصبكم سيئة ﴾ وذلك للإشارة إلى أن الحسنة تسوء الإعداء، وحتى ولو كانت بأيسر الأشياء، ولو مسا خفيفا، وأما السيئة فإذا تمكنت الإصابة بها إلى الحد الذى يرثي له الشامت فإنهم لا يرثون، بل يفرحون ويسرون، وهذا من أسرار بلاغة التنزيل، فلفظ الإصابة يدل على تمكن الوقوع بخلاف المس"(36).

وينتقل هذا اللفظُ بدلائله إلى معان أخر، لا علاقة لها بهذا الحديث دلاليًا، وإن تعلقت به صوتيا، كما في إشارة القرآن إلى المس بمعنيين مختلفين أخرين.

الأول: كنى فيه بالمسِّ عن النكاح في كل من قوله (تعالى): ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ (مريم: 20)، وقوله (تعالى)﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾(البقرة: ٢٣٦)، والآخر: وعبر فيه بالمس عن الجنون كما في قوله (تعالى): ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة: 275)، واجتمعت كلها في طبيعة الصوت"(37).

وقد تنبه الزمخشري إلى جمال المس في الآية الكريمة في قوله (تعالى): ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم: 20)، حيث جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال، حكاية عن مريم عليها السلام، لأنه كناية عنه، وقوله (تعالى): ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: 43)، والزِّنى ليسَ كذلك، وإنما يقالُ فيه: فجر فيها، وخبث، وما أشبه ذلك، وليس بقمين أن ترعى فيه الكنَّاياتُ والآداب"(38).

---

(36) الصابوني،: محمد علي الصابوني (1981)، **صفوة التفاسير**، ط2، دار القرآن الكريم، بيروت، ج1 ص145.

(37) الصغير، محمد حسين (د.ت)، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ص183-185.

(38) الزمخشري (1997)، تفسير الكشاف، تح: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج3، ص9.

ذلكَ أنَّ العلاقةَ الشرعية بين الرجلِ والمرأةِ يكنى عنها بالمسِّ والملامسة، ولا يكونُ هذا في الزنى، ويجب أن نضيف أن البيان القرآني لم يجنح إلى هذه الجمالية معتمدا على الفروق اللغوية، في تصريحه في الزنى، ويلمح في النكاح المشروع، فقد عبر القرآنُ عن أبشع الزنى الذي ابتلي به قوم لوط بكلمة تتسم بالظلال، فتقرأ على لسانهم. وقوله تعالى: ﴿مالنا في بناتك منْ حق ﴾، حيثُ عبرت كلمة(حق) عن قمة الهياج عند قوم لوط، والكلمة على أخلاقيتها التي تطفئ معنى الشبق، كما تدل على ثقة هؤلاء الماجنين بأنفسهم وإمعانهم في الضلال، فهم أصحاب حق كما يرون.

الخاتمة.

نؤكد في ختام البحث على أن المفردة القرآنية لها أهمية في بلاغة القرآن الكريم، وفعاليتها في توصيل المعنى وجمال الشكل والمضمون، وجمعها بين قوة التأثير، وتوصيل المعنى، وذلك لأن صيغة المفردة تختصر الكثير من الكلام، وتنم عن رفعة البيان القرآني وتلقي ظِلالا نفسية خاصة، لأنها تقوم بتجسيم المعاني وتحيلها إلى مشاهدات بعد أن تكونَ دفينةً مكنونةً ومشاعر ومجردات عن طريق إسباغ الصفات الآدمية على الجمادات، فتكتسب المفردة جمالًا مرئيًا من حيث التصوير، وسمعيًا من حيثُ متعة الأنغام.

وتبرزُ إمكاناتُ المفردة اللغوية في دقة اختيارها، وتعميقها للدلالة، والمتأمل في اللفظة القرآنية يجد تمكن كل لفظ من موضعها، بحيث لو استبدلت بغيرها لاختل مفهوم السياق العام للنص الذي ورد فيه اللفظ"، وكلمات القرآن ومفرداته متصلة ومتناسقة، لا حشو فيها ولا تكلف، يحيط بها السمو، ويظللها الجمال.

كما تبرز دور المفردة في تجسيد المعاني المجردة، بما تثيره من أفكار، وتحث المتلقي في رسم ملامح تصويرية للمعاني، وكل هذه القيم المعنوية والتصويرية بفعّل دلالات التركيب وتفاعل عناصره المختلفة"، ومن ثمَ لم توضع الألفاظ عبثًا بل وضعت وضعا دقيقًا؛ لتعبرَ عن مقاصد السياق ومراده.

التوصيات والمقترحات.

بناء على نتائج البحث؛ يوصي الباحث ويقترح ما يلي:

1. إقامة المؤتمرات والندوات العلمية المتخصصة عن المفردة وأهميتها ودورها.
2. حث أهل الاختصاص، وكذا الجهات ذات العلاقة في المشاركة الفاعلة في تأليف الكتب، واصدار المجلات المتخصصة في المفردة.
3. فتح مواقع علمية إلكترونية لهذا الغرض.
4. إجراء دراسات مماثلة لمفردات أخرى، وبيان دلالاتها وسبل الاستفادة منها في واقع المسلمين اليوم.

قائمة المصادروالمراجع.

- القرآن الكريم.

1. إبراهيم مصطفى(د.ت)، المعجم الوسيط. دار الدعوة، تح: مجمع اللغة العربية.
2. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا(1972) معجم مقاييس اللغة، تح: عبدالسلام محمد هارون، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
3. ابن منظور(1998)، لسان العرب، تح: على سيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت..
4. الجربوع(د.ت)، عبد الله بن عبد الرحمن، الأمثال القرآنية القياسية.

5. الجواهري، إسماعيل بن حماد (1999) الصحاح(تاج اللغة وصحاح العربية)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3.
6. حبنكة، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي (ت: 1425هـ)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ- 1996م.
7. حمدان، نذير(1991)، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنار جدة السعودية، ط1.
8. داود، محمد محمد(208)، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة.
9. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(1982)، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت.
10. الزمخشري، (1997) تفسير الكشاف، تح: عبد الرزاق المهدي دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1.
11. السامرائي، فاضل صالح(2010)، التعبير القرآني، دار عمار عمان، ط7.
12. السعدي(د.ت)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
13. السيوطي(د.ت)، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن.
14. الصحاح (تاج اللغة العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري (د.ت)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر ابن عادل الحنبلي، ابو حفص عمر بن علي(د.ت)، تفسير اللباب في علوم الكتاب.
15. الصغير، محمد حسين(د.ت)، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان.
16. عبد التواب، محمد لطفي(د.ت)، الاتجاه البلاغي في تفسير البيضاوي.
17. عبدالباقي، محمد فؤاد(2001)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث- القاهرة.
18. العبدلي، أمير فاضل سعد(2008)، غرائب الصورة القرآنية، دار الكتاب الثقافي(الأردن).
19. العبدلي، أمير فاضل سعد(د.ت)، التأويل البياني لأحوال نظم المعاني في القرآن الكريم، (مطبوع قيد النشر).
20. العبدلي، أمير فاضل(2011)، الترتيب والمتابعة، عالم الكتب الحديثة، أربد-الأردن، ط2.
21. العفيفي، محمد(1976)، القرآن دعوة حق، مقدمة في علم التفصيل القرآني، المطبعة المصرية.الكويت، ط2.
22. العفيفي، محمد(1986)، القرآن تفسير الكون والحياة، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط1.
23. قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (د.ت)، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط17.
24. المطعني(د.ت)، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآن.
25. ياسوف، أحمد(1992)، جماليات المفردة القرآنية" في كتب الإعجاز والتفسير"، دار المكتبي، ط2.

List of sources and references translated into English.

- **The Holy Quran.**

1. Abd al-Tawab, Muhammad Lutfi (D.T), the rhetorical approach in the interpretation of al-Baydawi.
2. Abdel-Baqi, Mohamed Fouad (2001), The Indexed Dictionary of the Words of the Holy Qur'an, Dar Al-Hadith - Cairo.
3. Al-Abdali, Amir Fadel (2011), Arrangement and Follow-up, The World of Modern Books, Irbid-Jordan, 2nd edition.
4. Al-Abdali, Amir Fadel Saad (2008), Curiosities of the Quranic Image, Dar Al-Kitab Al-Thaqafia (Jordan).
5. Al-Abdali, Amir Fadel Saad (D.T), the graphic interpretation of the conditions of systems of meanings in the Holy Qur'an, (printed under publication).

6. Al-Afifi, Muhammad (1976), The Qur'an is a call to truth, an introduction to the science of Qur'anic detailing, the Egyptian Press, Kuwait, 2nd edition.
7. Al-Afifi, Muhammad (1986), The Qur'an, Interpretation of the Universe and Life, That Al-Salasil Publications, Kuwait, 1st Edition.
8. Al-Jarbou (D.T), Abdullah bin Abdul Rahman, standard Quranic proverbs.
9. Al-Jawahiry, Ismail bin Hammad (1999) Al-Sahih (The Crown of the Language and the Arabic Language), edited by: Ahmed Abdel-Ghafour Attar, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 3rd edition.
10. Al-Matani (D.T), Abdel-Azim, Characteristics of the Expression of the Qur'an.
11. Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qadir (1982), Mukhtar Al-Sahah, Dar Al-Risala, Kuwait.
12. Al-Saadi (D.T), Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the interpretation of the words of Al-Manan.
13. Al-Saghir, Muhammad Hussein (D.T), The Linguistic Voice in the Qur'an, Arab Historian House, Beirut.
14. Al-Sahah (The Crown of the Arabic Language), Ismail bin Hammad Al-Johari (Dr. T), under the title: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Egypt Ibn Adel Al-Hanbali, Abu Hafs Omar bin Ali (Dr. T), Interpretation of Al-Labbab in Sciences the book.
15. Al-Samarrai, Fadel Saleh (2010), Quranic Expression, Dar Ammar Amman, 7th edition.
16. Al-Suyuti (D.T), Jalal al-Din Abd al-Rahman ibn al-Kamal (T.: 911 AH), Perfection in the Sciences of the Qur'an.
17. Al-Zamakhshari, (1997) Tafsir Al-Kashshaf, edited by: Abd Al-Razzaq Al-Mahdi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 1st edition.
18. Daoud, Muhammad Muhammad (208), Lexicon of Semantic Differences in the Holy Qur'an, Dar Gharib, Cairo.
19. Habankah, Abd al-Rahman bin Hassan al-Maidani al-Dimashqi (d.: 1425 AH), Arabic rhetoric, its foundations, sciences and arts, Dar al-Qalam, Damascus, Dar al-Shamiyya, Beirut, 1st edition, 1416 AH - 1996 AD.
20. Hamdan, Nazir (1991), The Aesthetic Phenomenon in the Holy Qur'an, Dar Al-Manar, Jeddah, Saudi Arabia, 1st edition.
21. Ibn Faris, Abu al-Hasan Ahmad bin Faris bin Zakaria (1972) Dictionary of Language Measures, edited by: Abd al-Salam Muhammad Harun, 2nd Edition, Mustafa al-Babi al-Halabi Press.
22. Ibn Manzoor (1998), Lisan al-Arab, edited by: Ali Siri, Dar Revival of Arab Heritage, Beirut.
23. Ibrahim Mustafa (D.T), Al-Mu'jam Al-Waseet, Dar Al-Da'wa, edited by: The Arabic Language Academy.
24. Qutb, Sayyid Qutb Ibrahim Hussein Al-Sharbi (Dr. T), Artistic Imagery in the Qur'an, Dar Al-Shorouk, 17th edition.
25. Yasouf, Ahmed (1992), The Aesthetics of the Qur'anic Singular "In the Books of Miracles and Interpretation", Dar Al Maktabi, 2nd edition.